

مزا امير

راكوم الادهماء

وقصائد أخرى

د. ماجد الحيدر

المهمةُ محددةٌ :
كُنْ عَظِيماً وَارْفِضِ الصِّغَرَ
" ي . يفتوشنكو "

الى دفتري

يا أيُّها الدفترُ ... أيامنا

قافلة تمضي الى المستحيل
تسوقنا الأوهام صوبَ الفنا
فنوسعُ الخطوَ ونهوى الذمیلُ
ونخدعُ النفسَ بأنَّ المنى
دانية القطفِ وما من سبیلُ
لو أيقنَ الإنسانُ بالخلدِ لم
يضنَّ بالأنفاسِ ضنَّ البخيلِ !

مَنْ ؟

مَنْ يرمي حجراً في مستنقعِ هذا الإجماعِ الآسنِ ؟

من يقتلُ مَنْ يُشبهُهُ

من يصرخُ ها أنذا

عريانٌ لا أخشى عُريي

لا أعبدُ مرآتي

لا أخشى هذي الأرضَ المسكونةَ بالحمقى

ويأنصافِ الموتى الماشينَ على دَمِهِمْ

مثل دُمِّي ، أو أشلاءِ دُمِّي

سيئةِ الإستساخِ ؟!

إمرؤ القيس

متخماً بالجوع

يستلقي على

عرشه المصفور من أخيلة الحمى

وأوجاع السفر .

يسأل الندمان عن برق سنا فوق الجبال .

يحشد الأشباح والغيلان جيشاً

ويسوقُ الهمهمات .

يُفَلِّتُ الكأسَ فتعلو /

تتشظى.. مِرْقاً مثلَ غمامٍ
يُمِطِرُ الوَيْلَ وَأَشْلَاءَ خِيولٍ
ورفوفاً من طيورٍ حجريَّةٍ .

.... ...

إِيهِ يَا قُبْرَةَ حَاصِرِهَا التُّلُجُ بِهِذِي الفلوات
إِيهِ يَا " فَاظْمُ " يَا ثَوْبَ جِرَاحِي
إِيهِ يَا كَأْسَ غَبُوقِي .. وَاصْطَبَاحِي
إِيهِ يَا مُنْجَرِدًا دَاسَ عَلى صَدْرِي وَوَلَّى .. كَشَهَابِ
لَنْ تَعُودِي .. بَيْنَنَا أَلْفُ إِحْتِرَاقٍ .. وَاحْتِرَاقِ
بَيْنَنَا - مَشْرَعَةً - غَابَاتُ خَوْفٍ وَحِرَابٍ .
هَذِهِ " أَنْقَرَةٌ " تَدْنُو وَتَدْنِينِي إِلَى مَفْتَرَقِ
لَيْسَ بِهِ إِلَّا طَرِيقَانِ ... طَرِيقٌ وَاحِدٌ ..

محضُ سرابٍ !

....

يُعملُ السيفَ بهاماتِ الأغاني

.... ...

حينَ يسَّاقطُ نفساً بعدَ نفسٍ

يلعنُ القيصرَ والآباءَ والدربَ الطويلاً !

المَحْجَرُ الأَبْدِيُّ

كَوْلِيَّ عَهْدٍ مَنْسِيٍّ

يَحْبُو أَلَى التَّسْعِينَ

يَعُدُّ شَبَابِيكَ حُجْرَتِهِ شُبَّانًا شُبَّانًا ..

وَيَسْدُلُ فَوْقَهَا سِتَائِرَ مِنْ حَجَرٍ .

وَعَلَى "رِزْنَامَةِ" الْجِدَارِ الأَبْدِيَةِ

يُرْسِمُ تِسْعِينَ دَائِرَةً صَفْرَاءَ

عَلَى مَوَاقِعِ الإِخْصَاءِ السَّنَوِيَّةِ .

كَانَ الْفَائِضُ عَنْ حَاجَتِهِ

يمسّدُ جثتهُ أمامَ الموقدِ المنطفئِ

ويباركُ القمصانَ التي

ما خضّبها الزمانُ بدمِ الشعرِ .

أما أنا .. الملكُ الميِّتُ ، فأذكرُ أنّي

في الجنةِ كنتُ

سكرانا تدوّمُ بي جدليّةُ الذراتِ .

أحرّقُ الحبَّ

في مَجْمَرَةٍٍ من عظامِ سُلالتي

وأمارسُ طقوسَ " إقليدسَ " التي

ما استعادتُ كينونتها

والسباتَ المهيمَنَ .. فوقَ ظُلْمَةِ الهيولى .

لأنّي لم أفهمُ شيئاً

لأني أسافرُ .. مثلَ فُجاءةٍ عاديةٍ
لأني أسفرُ عن وجهي
في الأزرقِ المُتَمَاهي ،
وفي الولاداتِ التي تكررُ ،
في الحوباءِ التي ما اكتمَلتُ ،
وفي الخرائطِ التي سالتُ
بينَ عينيِّ والأسيجةِ .

أخبرني العرّافُ

الى يوسف الصائغ

أخبرني العرّافُ

بأنى سأموتُ على مزبلةٍ

في أرضٍ لا تعرفني فيها الشمسُ

ولا أعرفُ فيها إلا أصحاباً أربعةً :

بَوَّابٌ سَكَّيرٌ ،
وعجوزٌ عمياءٌ تمزقُ أوراقَ الحظِّ
وتذروها في الريحِ
وكلبٌ ضيعةٌ سيدهُ المجنونُ
على أرصفةِ الميناءِ
وكأسُ عُقَّارٍ !!

* * *

أخبرني أني سأسافرُ وحدي
وأقومُ الى حتفي وحدي
وأمارسُ طقسَ نزولي للأرضِ الظلماءِ
وأرجعُ منها ثانيةً ثم أعودُ اليها وحدي ..
وحدي .. وحدي ..

وسأمسكُ في كلِّ يدٍ نصفَ رغيفٍ محترقٍ
وكتاباً أبحثُ عمّن يقرؤه لي في الموتى
أخبرني أنّ الطيرَ الخارجَ من رأسي
لن يهدأ

حتى يتفجّرَ من صخرةٍ أوجاعي ماءً
يغسلُ تاريخَ جدودي ويحيلُ الصحراءَ الشرقيةَ
جنّاتٍ من قمحٍ ونبيذٍ ونساءٍ !

* * *

أخبرني أنّ "الأولمب" سيمسحُ إسمي
من ألواحِ الأبطالِ وأنصافِ الأربابِ .
وسيمنعُ سادةً "طبيبةً" صوري
فيواريتها الفقراءُ على عَجَلٍ

تحت سلالِ الخبزِ وبينَ جرارِ الزيتونِ .
وسيامرُ " نieron " بأن يُنصبَ لي تمثالُ
من روثِ الأبقارِ ويُحرقَ عندَ غروبِ الشمسِ .
وسيصنعُ " كسرى " من أضلاعي قيثاراً
يعزفُ فيه حواريي الخائنُ ألعاناً
لأغانٍ تسخرُ من معجزتي الخرقاء !
" وكمثلِ نبيِّ ينكرهُ أهلُ مدينتهِ "

أخبرني العرافُ :

" .. كمثلِ نبيِّ .. أحملُ تاجي وعصايَ وأرحلُ .. " *

لكني لن أستجدي ..

قطرةَ ماء !!

* يوسف الصائغ : إنتظريني عند تخوم البحر

حكاية

عن رجلٍ يسفح نصف سنّي العمر
مضطجعاً فوق أريكة وحدته
منشدها يفتحُ فاهُ ويغلقُ عينيه

ويفتحُ مذياعاً معطوباً
ويمارسُ حلماً يومياً ما فارقه
حلماً عادياً مبتذلاً :
أن يخلعَ نعليه ويدخلَ في وادي اللذة
أن يعرى ويمرغَ جثته
برمادٍ لم يبرد بعدُ
ولم تسفعهُ الريحُ الثلجيةُ أو صمتُ الأيامِ

....

عن رجلٍ لا ينهضُ إلا كي يقضي حاجتهُ
أو يطعمَ قطتهُ العمياءَ
ويحكمَ إغلاقَ البيانِ
عن رجلٍ لم يَأثمَ يوماً ، لم يندمَ

لم يبك ولم يشرب خمرًا ، لم يقرأ فنجانا
أو يلثم شفةً

.....

عن رجلٍ يشعرُ بالبردِ !

الهاتف

للهاتف في الليلُ

هممةٌ لا يعرفها إلا مَنْ حدَّثَ سيدةَ القلبِ

من الجبهةِ في منتصفِ الليلِ .

.... الهاتفُ في الليلُ

يملؤني وجلاً .. يُشعِرُني بالبردِ

وبالعُريِ أمامَ طبيبِ

يتفحصُ أعضائي في غرفةِ إنعاشِ

طُيِّتْ أَوْجُهَهَا :
بِالْأَزْرَقِ حَتَّى الْأَكْتَاثِ
وَبِالْأَبْيَضِ حَتَّى السَّقْفِ
وَبِالرَّهْبَةِ حَتَّى الْأَضْلَاعِ .

.... أَطْلُبُ رَقْمًا فَيْرُنُّ الْهَاتِفُ فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى
- مِنْذُ سَنِينَ - دُونَ جَوَابٍ
... أَسْمَعُ قَلْبِي فِي الْهَاتِفِ
أَسْمَعُ أَنْفَاسِي..
وَصَدَى السَّاعَاتِ !!

الشاعر

" هكذا لن تستقيم الأغنية "

ومضى الشاعرُ يتلو ، ثم يمحو ، ويعيدُ

كلَّ سطرٍ ، كلَّ حرفٍ .. من جديدٍ

وتلوى .. هاصراً فؤديه في يأسٍ

وألقى باليراعُ

وتمشَّى جيئةً ثم ذهاباً ..

وأصاخَ السمعَ لليلِ وللأبوابِ

للخوفِ الذي .. ألقى على الروحِ إهاباً.

... ..

" آه ما أقسى العذابا ! "

واعترته رعدة هزته كالحمي فغابا

في دياجير الأسي واليأس والأوهام

في أمسٍ مضى .. مثل سرابٍ

والسنونُ الزرقُ تطوي عمره

طَيَّ سَجَلٌ ..

" إيه يا قلباً ، وكم كنتُ هممتُ

ثم لم أفعلُ ، وقد كدتُ "

ولكني ارتجفتُ

وهوى سيفي الى القاعِ زجاجاً .. وتشظى ..

ثم لم يبقَ سوى الأفقِ الجليديّ

وأعشاش طيور ، هاجرت صوبَ روابٍ

لم يعدُ يسمعُ عنها

غيرَ في الأحلامِ ، في الذكرى

وفي صمتِ الأغاني ..

آه لو آبتُ أغانيه وآبا !

آه لو ...!

لكنها الروحُ التي أمستُ خرابا !

رؤيا

قرأتُ الوصايا .. وآياتِ محنتي المنجياتُ
ورددتُ ألفاً تراتيلَ خوفي....
وصمتُ عن العشقِ عشرينَ حولاً
وما ذقتُ إلا رحيقَ التجلِدِ
والخبزَ والماءَ والأمنياتُ
فلما اكتهلتُ أتاني اليقينُ
وأخبرني أنني قد أنامُ أخيراً
تهللتُ ، أوقدتُ كفي شموعاً
وأغلقتُ بابي.....

.....وفي ليلة الشفيع من شهر " آه "

توضأت بالبرد والزعفران

ونمت على جانبي عارياً

فأبصرت فيما يرى النائمون

نخيلاً يسير الهوينى الى حتفه

نازفاً طلعه في الطريقِ الى المدفن المرمري الرحيب

المضاء ببرق الجنون .

وأبصرت وجهي ينفر مني ويشرق بالوهم و الموجعات .

وأبصرت في الضوء هندا تلوك - وتضحك - أحشاء مهر

يحدق في حزن في القمر .

نظرت لعينيهِ : كانت مآقيهُما اكتظتا بالسؤال القديم

عن الله والموت والديبان .

توكأتُ فوقَ جدارِ كسيرٍ
وأجهشتُ بالبردِ والعارِ حتى دَهاني الصبأُ ،
وأغمضتُ عيني ...
الى الليلةِ القادمةُ.....!

مدينة الذباب

تتأبب الصيفُ على الأرصفةِ الغبراءُ
وهومَ الذبابُ في المدينةِ الموصدةِ الأبوابُ
وراحُ شيخٍ منحٍ يقتعدُ الطريقُ
يرددُ الآياتِ في فتورِ
وصبيَّةٍ حفاةٍ
يمضونَ في الدروبِ
يشقونَ .. يكبرونَ .. يهرمونَ
في الصمتِ .. في النسيانِ .. في الضياعِ
وأعتصرتُ فؤاديَ المحاصرَ الكسيرِ
غمامةً حالكةً خرساءُ
رباه !
من يبيغني تذكرةً لعالمِ الفناءِ !؟

رباه !

ماذا يفعل الشاعرُ في مدينةٍ

يضرُّها الجرادُ والسَّمومُ ؟

حاناتها مقلَّنةٌ بالشمعِ والسيوفِ

أقمارها يلفها الديجور

أيامها تدورُ كالناعورِ

وأهلها .. أصداءٌ !؟

شذوذ

- لا أعرف ألوان التمر
- ولا أحفظ أدعية للإسترزاق .
- لا أعرف شيئاً عن سعر الدولار ،
- ونتائج كأس الأمم الأوربية
- أو إجراءات السفر الى عمان .
- لا أفقه شيئاً من بركات " الحبات السود " ،
- ولا أعرف أوزان الحصص التموينية ،
- لا أحلق رأسي قبل العيد ،
- ولا أحفل بالتلفاز ،

لا أحضرُ حفلَ زفافٍ أو تأبينٍ

.....

لكني أذهلُ حينَ تغني فيروز

وأبكي..

حين أرى كرسيَّ صديقي .. دونَ صديقٍ !

ليس حزناً

ليس حزناً على بلادٍ أُبيحتُ
ليس حزناً على الزهورِ الصبية
ليس حزناً على خدودِ أشاحت
ليس حزناً على سنينٍ أريقت
ليس حزناً على حطامِ كؤوسٍ
ليس حزناً على أغانٍ قديمة
ليس حزناً على سويغاتِ أنسٍ
أو أمانٍ ماتت على الكفِّ غولاً
إنما الحزن أن أسافر وحدي
وبرأسي مليون لغزٍ ولغزٍ
وسؤالٍ لما يزل دون ردّ .

نعم

نعم ، أنا العبدُ الذي
أغريتُ أفلاطونَ بالسُّكرِ
حتى بكى أمامي
وأنكرَ كلَّ شيءٍ : الكهفَ والحِصانَ الأبيضَ
صورةَ الحِصانِ ، وصورةَ البياضِ
وجثا على ركبتيه : أنْ أعِدني الى صباي
أريدُ أنْ أركضَ حافياً
أريدُ أنْ أتسلَّقَ شجرةَ تينٍ
أريدُ أنْ أسرقَ العسلَ : عسلاً حقيقياً ،

من أغصانِ سرورةٍ حقيقيةٍ ،
في غابةٍ حقيقيةٍ

....

نعم أنا الذي صنعتُ لهم
أقداحَ الراحِ .. وألواحَ الكتابةِ
وخيوطَ القيثارةِ
وعصيرَ الشوكرانِ
..... نعم أنا !

سفير الجنون

سفيرُ الجنونُ ..

يقدمُ أوراقه في المساء

الى سيّد العالمِ العاقلِ

الى الجدّثِ العفنِ العاطرِ

الى نائمٍ ، سادرٍ ، سائرٍ

يدور على صخرةٍ للرياء

كما المنجنونُ

.... ...

سفيرُ الجنونُ ..

سيكشفُ في المحفلِ المُخملي
عورته (قلبه النابضا)
وتحت ضياءِ القصورِ الكسيف
يُراقصُ عذراءهُ الميَّته
ويرتفعُ "الفالسُ" نحوَ الفضاء
الى قمرٍ سملوا عينه
وألقوا به في دروبِ السماءِ
ليحسبَ ساعاته الباقيات
.....

سفيرُ الجنون
سيركضُ في الشارعِ المُظلمِ
على بركٍ من رشاشِ الدمِ

ويهوي على ركبتيه هناك
قُبالة مشنقة غافية ...
تغني وتضحك في نومها
وتهتز في غنج ناعم ..
ليحرق أوراقه في الصباح
ويرسل في إثرها دمعتين
ويصعد زحفاً على الدكتين
الى حيثُ مدَّت حبالُ المنون
سفير الجنون!

أوراق من كتاب " تدير العاشقين " للحسين بن

معين

(1)

حدّثني مزاحمُ بنُ ساهمِ الورّاقُ

عن صاحبِ يَحوُلُ في الأفاقِ :

لَمّا اشترى الحاكمُ باسمِ الله

سرياً من الإمامِ والعبيدِ

ليخدموا المَحظِيَّةَ الروميةَ الحُبلى بنورِ الدينِ

أبصرَ فيه كاعبا كَرجِيَّةً صهباءَ

تجيدُ ضربَ العودِ والنبالِ
من عينها الساحرةِ النجلاءِ
فشَفَّهُ غرامُها وحرَّ فيه الأهلُ والطبيبُ

....

واعتكفَ الإمامُ / ظلَّ اللهُ
في المخدعِ الحصينِ
حتى إذا أتمَّتِ المحظيةُ الروميةُ الحُبلى بنورِ الدينِ
شهورها . وقرَّتِ العيونُ
بالخلفِ الصالحِ والأمينِ
شوهدتِ المليكةُ الحسناءُ
مذبوحةً في الباحةِ الخلفيةِ الظلماءِ
وشوهدتِ سيِّدةُ الحِسانِ

الكاعبُ الكرجيةُ النجلاءُ
في المخدعِ الحصينِ !

...

ومرَّ عامٌ ثمَّ عامٌ وعامٌ
وانكشفَ الغمامُ
عن أُمَّةِ الإسلامِ

بموتِ ذاكِ المارقِ اللعينِ (سيدنا القديمِ)

على يدِ الهمامِ نورِ الدينِ
وشوهدتْ في الباحةِ الخلفيةِ الظلماً
العاهرُ الكرجيةُ الشمطاءُ
مذبوحةً .. غارقةً في بركةِ الدماءِ !

وحدَّثَ ابنُ ساهمِ الورَّاقُ
عن جدِّه وجدِّ جدِّه
عن يافثٍ عن شالحٍ عن نوحٍ :
أنَّ فناءَ الباحةِ الخلفيةِ المهجورِ
لَمَّا يزلُ - من زمنِ الطوفانِ -
يفيضُ بالجدائلِ الصفراءِ والسوداءِ
تشحطُ في جداولِ الدماءِ !

(2)

بيننا أنا في مجلسٍ يضمُّني
وصحبةٌ كطلعةِ الأقمارِ
سألتُ شَيْخِي كاشفَ الأنوارِ

موسى بن عيسى بن أبي مهيار :
هل يَعشِقُ البَصَّاصُ والجَلَّادُ
هل يِلْتَمُ الخُدودَ ، يبكي من جوى الفؤادُ
فقالَ : حتى يزهر العاقولُ
وتزحف الساعات بالمقلوب
وينزل الجليد في بغداد !!

(3)

حدّثني الشّمراخُ
عن شيخنا عن عروة بن نون :
وحين ضاقَ العاشقُ المسكينُ
بالجوعِ والترحالِ والديونِ

أرسلَ بيتينِ الى الحبيبةِ الحسناءِ

يحلُّها من عهدِها فقالُ :

" لا تحزني حبيبتي ، لستُ سوى حماز !

أضاعهُ صاحبُهُ الخاسرُ رأسَ ماله في شارعِ التجارِ

ثم مضى مستترا

من حارةِ ضيقةٍ لحارةِ

خوفاً من الدائنِ والشرطيِ والسمسارِ

لا تسألي حبيبتي

عن عاشقٍ لا يملكُ الرغيفُ

وأنصتي لأُمَّكِ الحكيمةِ العجوزِ

فإنها تعلمُ كلَّ العلمِ أنّ العارِ

أن تتبعي فؤادك الغريزِ

وتهجري من يُمسكُ الدينارَ !

(4)

وأشدنا عمرو بن زييدٍ لنفسه :
وسألتُ "مسرورا" * فقلتُ مُداعِباً:

هل تستطيبُ تغزلي وِصفاتي

للغيدِ والبيضِ الحِسانِ وخُرْدٍ

مثلِ البدورِ فقالَ لي: هيهاتِ

إني أنا الخِصِي الموكَّلُ بالطُّلى

والنطعِ والأسيافِ والفتكاتِ

لم أعرفِ الشوقَ المبرِّحَ والهوى

إلا إلى الخبِطاتِ والشحطاتِ

لا تسقني كأس الغرام فإنني
كفنتُ قلبي فاشتريتُ حياتي !!

* مسرور : خادم الرشيد وسيافه الأمين

(5)

وعن أبي العباس يزيد بن نعمان عن شيخه أبي زكريا الأعشى قال :

بيننا نحن ببادية السماوة نغذُّ السيرَ الى الكوفة سنة كذا وكذا - قال أبو العباس وأنسيئُها - إذا
بواحةٍ غناءٍ تعرضُ لنا وسط هذه البiddاءِ وإذا أفياءٌ حسنةٌ وماءٌ جارٍ ونعمةٌ دافقةٌ وجوارٍ حسانٍ
يخطرُنَ في السندسِ والديباجِ حتى ظننا واللهِ أننا في جنةٍ من جنانِ النعيمِ . قال فما لبثنا

هنيهةً حتى برزت لنا عجوزٌ وقورٌ حسنةُ الهيئةِ وسمعنا إحدى الجواري تناديها يا عمّتنا أمّ عمرو فانبرى شيخٌ فينا اسمه محمد بن أبي صيدا فأنشد:

ما اغطوطشَ الليلُ بذاتِ الحجرِ

إلا دُعينا من بناتِ فهِرِ

لشربةٍ تُعفي كلومَ الوترِ

ومتعةٍ حتى نشورِ الفجرِ

ماذا قرانا اليومَ أمّ عمرو

زقاقُ خمرٍ أم جرابُ تمرٍ؟

قال فما انتهى من إنشاده حتى خرجت علينا من ناحية المغرب غمامةٌ حمراءٌ فدنّت من الأرض حتى لفتّنا ونحن نسمعُ لها عزيلاً وعويلاً فغشيتنا ساعةً فلما انكشفت أقبلت علينا العجوزُ وقد برز لها من تحت عقالها قرنانِ كقرني التيسِ وهي تجرّجُرُ ذيلاً يضربُ الحصى فيقدحُ شرراً فأيقنّا أننا في حضرةِ الشيخِ إبليسِ فسلمنا تسليمَ دخيلِ خائفِ فضحك حتى برزت أنيابه وقال

مَنْ الْقَوْمُ وَمَنْ أَيْنَ وَالِي أَيْنَ فَقَلْنَا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْأَدَبِ قَدِمْنَا الْكُوفَةَ وَبَيْنَنَا هَذَا الْغَلَامُ
الشَّاعِرَ وَأَشْرَنَا إِلَى فَتَى مِنْ عُدْرَةٍ وَهُوَ سَقِيمٌ قَدْ أَمْضَى الْعَشْقُ وَقَدْ أَبَا وَلِيٍّ مِنْ أَحَبِّ تَزْوِيجِهَا إِلَّا
بِأَلْفٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ فَقَدِمَ مَعَنَا عَسَى أَنْ يَصِيبَهُ شَيْءٌ مِنْ عَطَاءِ الْأَمِيرِ فَيَعُودُ إِلَى أَهْلِهِ بِالْبَشْرِ
وَالْغَنِيمَةِ . قَالَ مَا أَظُنُّهُ يَفْعَلُ . فَوَاللَّهِ إِنِّي عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْذُ مَا لَا أَحْصِي مِنَ الْأَعْوَامِ وَلَمْ أَرِ
مِنْ جَمْعِ الشَّعْرِ وَالْعَشْقِ إِلَى الْمَالِ وَالِدَعَةِ . ثُمَّ التَفْتُ اللَّعِينُ إِلَى شَيْخِنَا وَقَالَ هَلْ سَأَلْتُمُونِي

الْقِرَى قَالَ نَعَمْ فَأَنْشُدْ :

قِرَاكُمُ الْيَوْمَ خَبِيصُ الْفِكْرِ

فِي مَرَقِ النَّثْرِ وَخَبْزِ الشَّعْرِ

لَا رِقَّةَ الْجَيِّدِ وَلَيْنُ الْخَصْرِ

وَلَا قِيَانُ كِتْمَامِ الْبَدْرِ

وَلَا نَبِيذٌ مِنْ نَقِيعِ التَّمْرِ

أَوْ قَهْوَةٌ تَفْرُجُ هَمَّ الصَّدْرِ

بل كدرٌ يصحبكم للقبرِ

لا يشتكي من فرقةٍ أو هجرٍ !!

قال فلما سمع الغلام ذلك صرخ صرخةً عظيمةً وخرجت روحه فغسلناه وصلينا عليه ودفنناه
وعدنا من حيث أتينا. قال وهذا سببُ تسميةِ تلك الناحيةِ من باديةِ السماوةِ واحةً أُعمرى على
أن لا واحةٍ فيها ولا ماءٍ والله أعلم !!

من مزامير راكوم الدهماء

مقدمة

في خرائب مدينة " راكموم الدهماء " الأثرية عثر على هذه المجموعة من الأناشيد المكتوبة باللغة الدهمانية القديمة. ولأن هذه الأناشيد " المزامير كما سماها كاتبها " تلقي المزيد من الضوء على فترة عصيبة من تاريخ الحضارة الدهمانية فقد ارتأت نخبة من علماء التاريخ الأجلاء نشرها في ترجمة أمينة دقيقة تحقيقاً للفائدة العلمية. بقي لنا أن نشير الى أن بعض السطور التي طمست معالمها أو لم تهتد اللجنة الى قراءتها قد أشير اليها بنقاط متجاورة محصورة بين الأقواس ، فنسترعي الانتباه .

لجنة الآثار القديمة

2960 / 2 / 29

المزمور الأول

"مزمور لحب الإنسان ، لمغني راکوم الأعمى غناه في شرح الشباب ، قبل أن
يسملوا عينيه"

أيها الإنسانُ
لَکَمْ أرتِّلُ أناشیدَ مجدک !
أني لأعدُّ فضائلک فلا أحصیها
ها هي الأشجار تعلو وتعلو
لکنک الأبهى
وتلك القمم الشامخات تناطح الغيوم
لکن مجدک بسمو فوقها
العواصفُ لك والغمامُ
الشمسُ لك وغناء الطيور

الأشعارُ المأجنة والوقور
دوالي الكروم وأسرابُ النحلِ التي
تطنُّ فوق الحقول
الألوانُ والدرجاتُ والآفاقُ
كلُّها ، نعم كلُّها .. لك وحدك
يا أنتَ ، يا مَنْ لا يُتعبني الترتُّمُ بحبِّك

* *

ليست عبثاً قصائدي
وغنائِي ما كانَ طيشاً
ها أنتَ تحتَ قميصي وفوقَ أوتارِ قيثارتي
ولأنِّي لا أنطقُ بالزورِ
سأشهدُ أنِّي أحبُّك !

دعني إذنُ أنحنِي
لأقرأَ يديكَ حينَ تجترحانِ الأعاجيبَ
دعني أنصتَ لعيونِ الحمامِ التي تَلقُطُ الحبَّ منهُما
دعني أجسَ ريشها الذي يحسنُ الثناءَ عليكِ
ثم تعال معي
وأنظرَ لذاك القاربِ الوحيدِ
تقدمُ رويداً واسمعُ أنينه الذي يتهادى
مستوحشاً صحبتك البهيجة
(.....)

ويا شيخِي الجليلِ
الغارقِ بين الخرائطِ و (.....) والمجاهرِ
حينَ تنزعُ نظارتك

وتداعبُ لحيتك البيضاء
متفكراً في فكِّ أحجيةٍ محيرةٍ
سأخطو إليك ، وأقبلُ أصابعك المملخةَ بالمِداد
و جبينك العرقان !
ويا فتايَ العاشقِ
إن صغيرك الحزين إذ تروح وتجيئ ..
فوق الرصيف الموحش
لأغنيةٍ سماويةٍ .. لا تُحسنها غيرُ ملائكةٍ مجتحةٍ
لَكُمْ أنحنى ..
يا خرافيَ الغافلة
ولكم أبكي .. للذئاب التي ستجيء !
المزمور الثاني

" في الحنين الى العاصفة "

لَمَ إِذْ نَ حَدَثَ كُلُّ ذَلِكَ
وَعَلَامَ جَاءَتِ الْعَاصِفَةُ ثُمَّ وَلَّتْ

وَتَرَكْتَنِي هَا هُنَا

أَجْتَرُّ مِنْ جَدِيدٍ

بَغِيضٍ أَحْزَانِي

وَمَا ظَنَنْتُهُ مَخَاضًا مَبَارِكًا

مَا كَانَ إِلَّا نُوبَةً مِنْ جُنُونِ دَائِرِي قَدِيمٍ

(.....)

أَيْتَهَا الْعَاصِفَةُ الْمَجِيدَةُ ارْجِعِي

وَأَطِيعِي بِسَقْفِ ضَرْحِي الْجَلِيلِ

قد آدني الصمتُ أودا
وليس إلا في هزيمك المدوي
في برقك الساطع
في مايك الغاضب
الخلاص لروحي
سيلاه !

المزمور الثالث

"لإمام المغنين ، يوم طردوه من المدينة"

برباطةِ جأشي أناديكم
مثلَ حقيقةٍ باهتةٍ قديمةٍ
كأغنيةٍ ملّها العازفون
ومثل بصقةٍ أُطِلقها في الهواء
سأسميكم بأسمائكم واحدا فواحدا..
ذاكَ اتّي .. ذاكَ اتّي.. آه .. شاخَ قلبي !
وأتعبنى التفكيرُ فيكم !
أيها (.....) الغارقونَ أبدا في الحمأ !
(.....) لأنّي أويتُ قبْرَةَ عميَاء
في الهيكلِ المحرّمِ ؟
ولأنّي سألتُ عن سرِّ الظهورِ العوجاء
في هذهِ السُّلالةِ

أسلمتموني للعسسِ
وَفَقَّأْتُمْ عَيُونِي ؟
(.....)

المزمور الرابع
" مزمور ناقص "
(.....)
(.....)

إذ يساقونَ للمسالخِ المهجورةِ
الى حيثُ تُنفخُ المناطيدُ
كُلُّ بَالْفِ رُوحٍ وَستينَ أَغْنِيَةٍ
يطلقها حكيماً راکومَ وراعيها

رسائلَ توبيخٍ للآلهة
حينها سأحُبُّكَ أكثرَ
وسأمسكُ بك قوياً
وأشدُّ روحينا
بألفِ حبلٍ من أوردتي
الى الشجرةِ المقدَّسةِ العجوز
شجرةَ العذابِ والدمِ
شجرةَ الحرِّ (.....)
سِلاه !

المزمور الخامس

إبكِ أو اضحكُ في راکوم

فلن تخرجَ من صدركَ

غير حشرجاتٍ واهنةٍ!

آه .. عبثاً تريد !

فوجهك قد شوّهه طويلُ الخوفِ!

(.....)

.. نساؤنا العقيمت ..

... ورجالنا المخصيون..

(.....)

(.....)

نعم نعم..

خلفَ الأبوابِ الموصدات
وأمام المرآة.

نعم، في الهواء وبين طيات الثياب.

.. أمامنا وخلفنا

في كل مكان

(.....)

نخاف من صغارنا (...)

بعضَ هذياننا

وعليهم نخاف.

لا تكبروا يا صغار، لا تكبروا

فالفؤوسُ في انتظاركم!

رأسى يتصدّعُ !!

سِلاَه!

المزمور السادس
" الحوض "

عيني على المجرّة التي

لم تصلُ بعدُ

الى واحةٍ وُعدتُ بها

يوم أطلقها الربُّ

في وجه الزمكان

فبكتُ وتوسلتُ

كما توسلتُ اليّ

الكراكي التي فاتها الموعدُ الأخيرُ

للّحاقِ بنجمة حلّقتُ

وراء تخومِ الأبدية ..

بكتِ المجرةُ ، والكراكي أعولتُ

وظللتُ صامداً

عائداً بحبالِ الصمتِ القرمزية

كانتِ الفصولُ تتهاوى أمامَ ناظري^٣

كانتِ السنونُ تحلُّ حبوتها

تهرعُ وراءَ خطوي المتأنّي

وأنا أدورُ وأدورُ

حولِ الحوضِ المسمومِ

يكادُ الفصولُ يقتلني

كلما أبصرتُ في الماءِ صورةَ أبي

دائراً حولِ حوضِ مسمومِ

يبصر فيه صورة أبيه
دائراً .. دائراً .. دائراً ..

المزمور السابع
"مزمور للفجر"

لماذا تأخر الفجر؟

هل ماتت "اورورا" حقاً؟

قد أيقظونا للصلاة لكنهم

لم يشعلوا حطبَ المواقد

لأجل خبز الصباح.

الأبقارُ لم تسمع خوارها.

والجداءُ الجائعات،

لم ترفس ببيان زرائبها

(... ..)

آه...نسيتنا صوتَ الديكِ !.

(... ..)

البردُ يقتلنا..!

سِـلّاه !

المزمور الثامن

(.....)

القروياتُ الهزيلاتُ اللاءِ

يزحفنَ الى المقابر

ليضاجِعنَ الأشباحَ

ويليدنَ صغاراً

بوجوهٍ مكفهرة،

وعيونٍ حزينَةٍ ..
كعيون شيخٍ دفنوا أولادهم
في أيام الفحط والحروب.
(.....)

وهذا فمي المدمى
الذي ضربته الرياحُ الشرقيةُ ..
لما يزل يغني.
غير أنّ الدموع تخونني
ويعروني الصمتُ
حين أتذكرُ قيثارتي
وأنظرُ الى أصابعي الماهرةِ
أصابعي الحاذقاتِ الطوالِ

التي داستها العجلاتُ الحديدية.
سِلاه !

المزمور التاسع
" خارج الأسوار ... في برية راكوم "

وأنتِ أيتها العقبانُ الكاسرة ..
ما الذي يمنعكِ من افتراسي
وأنا الوحيدُ .. في هذا المدى الشاسعِ ..
من الطينِ والدم ؟
أنا الأعزلُّ .
أنا السائرُ في نومي أبدا.

أنا الجثَّةُ / نصفُ الجثَّةِ المترنِّحه!

المزمور العاشر
"مزمور لصديقه القتيل"
(.....)

أعدني الى بيتي ..
قد سئمتُ الدم في الطرقات
سِلاه ..

المزمور الحادي عشر
" مزمور للأصوات "

كفى ، أصبح كفى ..
يا آباءَ الهياكلِ المذقِّبةِ،
فلتوقفوا هذا المساء

صلواتكم الصاخبة.
دعوني أنصت
لصوت المطرِ الساقطِ ..
فوق الأسقفِ الحزينة

المزمور الثاني عشر

" لسيد العازفين على ذوات الأوتار، سرّاً ، لمحظية الملك "

أيتها العاهرةُ الصغيرةُ

يا ابنةَ راکومِ الجائعةِ

أما غطّيتكِ بعباءتي

حين ألقاكِ السكارى تحت مصباحِ الطريقِ

أما أطعمتكِ خبزَ المعبدِ

ومن خمرهِ المقدسةِ أما سقيتكِ ؟

واشتريتُ منكِ خطاياكِ.. بدمي وصلاتي ؟

لا تشمتي بي يا ابنتي

لا تشتميني
مقيّداً كنتُ أنا
ساعة أخرجوكِ من بيتي
لترقصي عاريةً
أمام الملك !

المزمور الثالث عشر
"مزمور لرتاء راکوم"
آه راکوم صباي الأول
يا بستاناً لأقاج ترقصُ للفجرِ
وتغسلها حباتُ الطلّ المسكونةُ بالسحرِ وبالألغاز
آه راکوم الطاهرة العذراء الوهبت خمر أنوثتها
بحاراً لا تعرفه

ألقاها في أول ميناءٍ ومضى

آهٍ راكومي

يا سيدهً ترفل في أثواب اللؤلؤ والمخمل

يا أنبلَ خاطئةٍ في الدنيا

كيف تعريتِ وجعتِ وأنكركِ العشاق؟

آهٍ يا راكوم السفر الدائم

يا رائحةَ الخبز الساخن في أحياء الفقراء

كيف انكفأ التتورُ وماتت أمي

وانطفأتُ في البيت الأضواء؟

آهٍ راكوم المحبوبة

آهٍ راكوم المغلوبة

آهٍ يا أعظمَ غرفةٍ إعدامٍ في الدنيا .. آه !

المزمور الرابع عشر

"مزمور للمصير"

عبثاً تنأى بنا العربات المولولة

وعبثاً تقفل راجعة

عبثٌ هذي المسافات

هذي الأقاليم، هذي السهول الفسيحة والهضاب

عبثٌ هذي العقارب التي لا تكل

عبثٌ صحونا ونومنا عبث

عبثٌ سماع الأغاني

وهذي الثُمالات عبث

عبثٌ كلُّ القبلاتِ ... والموتُ والميلادُ

عبثٌ أرائكُ اللذةِ

وأسيْرَةُ الترابِ الأبديةِ

عبثٌ... آهِ عبثٌ مرير
لأنني ما حظيتُ ساعةً بعناقك
أيتها العذراءُ المقصوصةُ القدمين
المحلقةُ أبدأً
بعيداً عن سماءِ راکوم

المزمور الخامس عشر
"مزمور للغد"

بعد خمسينَ سنةٍ
سينقرضُ سعاةُ البريدِ
وأوراقُ الرسائلِ المعطرةُ
ودكاكينُ الخبزِ والخمرِ

بعد خمسينَ سنة
سيلقحُ أطفالنا بأمرِ السيّد الأبدى
ضدَّ الحبِّ والشعرِ .. وحساسيةِ الورودِ اللعينة

بعد خمسين سنة
سنكبرُ خمسينَ حزناً

بعد خمسين سنة
سنغلقُ أبوابَ المدينةِ بخمسينَ قفلٍ إضافي

بعد خمسين سنة
من سيبقى من الشهود ؟

بعد خمسين ..
سلاه !.. بعد خمسين !

المزمور السادس عشر
"مزمورٌ للحصاد"

حصاداً مريراً كان يا ابنتي...

ذاك الذي انتظرناه طويلاً

تفحّمتِ البتلاتُ والسنبالُ والرئاتُ والفضاءاتُ والأحلامُ

إذ أثلجتِ الشمسُ رمادا

حين سطعت شمسُ إلهِ راكمَ الحجريّةُ

وأقفلَ القمرُ في زورقهِ عائداً بسماواتِ أُخزُ

إذ أضعَ الماءَ رجولتهُ

والأرضُ شبقها

فقطفنا تفاحاً أسودَ برائحةِ الخيانةِ

ولبناً دامياً

عسلاً من صديِّ

وعصافيرَ مجنونةً

خموراً مالحة

وأناجيل مزيفه

معجزات كاذبة

وأغنياتٍ مرييةً

وفيالقَ من جرادٍ محموم

وحزنناً سرمداً ، ثابتاً ، مضاعفاً ، جليلاً ، راسخاً ، أديباً

وعمرأً ...سلاه...عمرأً قصيراً !

المزمور السابع عشر
"مزمور للأقدام"

وقلت سأنشُد هذا النشيد لقدميكِ العاريتين
قدميكِ اللتين أضاعتا الطريقَ الى بوابةِ السور العظيم
وشرَدَتَا الى حقول الرب
قدميكِ / الطفلتين الراكضتين وراء الغيوم
الخائضتين في جداول البُكورة
اللذيتينِ كقُبَلاتٍ مسترَقة
المغسولتينِ بالطين والتعب
النحيلتينِ كطلٍّ عجوزٍ بوذي
الشاحبتينِ كفجرٍ صيفي

العابثين كموجةٍ طائشة
الحكيمةين كقطرة ماء
الساخنتين كدموع ندامةٍ
الخرقاوين كخطِّ عاشقٍ يافعٍ
المفضوحتين كأسرارِ شاعرٍ

... ..

ورفعتُ صوتي في قبوي
فقالَ الحراسُ قد جُنَّ
فرفعتُ صوتي من جديد
وأنا أسمعُ رنينَ قيودي الصدئة
وقلت سأهْللُ لهما
لقدميكِ المحلقتين

"لأنهما تسخران أبدا
من كلِّ معدِنِ آفل"

المزمور الثامن عشر
"مزمور لطفلة"

للطفلةِ التي لم تأتِ بعدُ
سأشعلُ شمعةً .. شمعتين
وسأحرق البخورَ
وأنثر ماءَ الورد
للطفلةِ التي .. لن أراها..

سأرقصُ حتى الصباح
وسأشربُ ألفَ نخبٍ
لصغيرتي .. الطالعةِ من المقابرِ الشاسعةِ
لابنتي .. لابنةِ أخي .. وأبي .. ومعلمي الذي ما عدتُ أذكرُهُ
سأُعني .. في يومها الذي أنتظر
وسأبكي ..
لأنني .. لن أراها..

المزمور التاسع عشر

"مزمور لها "

أيتها المجنونةُ الحكيمَةُ العاهرةُ المقدسةُ

لَكَمْ مَرَّ تَحْتَ شِبَاكَ مِنْ شَاعِرٍ
فَلَفْظِيهِ كَحَيَّةٍ تَوْتِ فَاسِدَةٍ
وَجَلَسْتَ هُنَاكَ ..
عِنْدَ شِبَاكَ الْمَشْرَعِ
تَنْتَظِرِينَ ..
أَهْ .. تَنْتَظِرِينَ .. تَنْتَظِرِينَ ...

المزمور العشرون
" مزمور للضجر "
كصورة قديسٍ ضامرٍ
في أيقونةٍ تَرِبَةٍ
تلفُ رأسي ..

هالة من ضجر

وترسلُ ذؤاباتها

أزواجاً أزواجاً

لتقِمَّ جَسدي المتهاك.

كُهلامٍ مُنْتِنٍ من دمٍ وطين

تكنسه ليلاً

بعيدا عن أفنية المسالخ

أنسات شمطاوات

ينفثن من صدور آيلاتٍ للرحيل

دخانا يرتقاليا

يعجُّ بالخفافيش

والرؤى التي لن تكون

كنطفة تيسٍ عقيم

كمشرطٍ صدئ

كلغةٍ خائرة

كنومٍ سلطانٍ مغتصب

كغداةٍ موتٍ أم

كعرقٍ زوجةٍ خائنة

كجوربٍ جنديٍ قتيل

كهذا الخواء .. الخواء .. الخواء،،،

تلفّ رأسي ..

سلاه ..

تلف رأسي

هالة من ضجر.

المزمور الحادي والعشرون

"الى قيودي"

ويا قيودي الباردة البلاء

ما كنت يوما جميلة

ولن تكوني ...

سلاه

المزمور الثاني والعشرون
" مزمور للطريق "
وبعد أربعين يوما مضاعفا
سأحسُّ بالتعب
وسأجلسُ عند البركة السرية
وأغمرُ رأسي طويلا
في مائها الفضيِّ الصامت
وأصطلي بالنار التي أوقدتها لأجلي
راعيتي المقدسةُ العمياء
وأسرِّحُ ناظري ... في الطريقِ الذي يرتمي تحت أقدامي
مثل أفعوانٍ غافي

الطريق الغارق في ضباب الوديان
الذي قدمتُ منه
ثم أسرّح ناظري في الأعالي
في الطريق الذي إليه أمضي
الطريق الأزرق الذي يتلوّى
غارقا في غمام الجبال

المزمور الثالث والعشرون
"مزمور للقبيلة"

وها أنا أحاول منذ اليوم السابع
أن أفتح تويجات وردة عنيدة

لأنام فيها أو أموت
ها أنا أزداد نفورا
حتى لتضيع ما بيننا اللغة
احلق بأجنحة السذاجة الواهيات
وتحفرين أنفاقك
بمخالب من حديد السلطان
كل صباح أبادل كيساً من دمي
بكتاب جديد أتَهجى فيه
حروفاً دافئة ناصعة
وتفتحين مغمضة العينين كتابا وحيدا
عطنته رطوبة القرون
كل مساء أفتح شبابيكي للشمس

وأبحث عما وراءها من نجوم
وتستفيئين بخيوط لزجة
تقيؤها عناكب بضّة
تحلم بالطيران
فيصيبها الدوار
أنكفي وأقوم ، وتقومين لتتكفي
قسمة^{١٥} لكلينا .. عوجاء للأبد :
لكِ السيف ولي السعال
لكِ الصولجان ولي ورد الجعفري
لكِ اليوم والأمس والغد
ولي .. ليس لي !
.....

وكمثل دقات ساعة خفية
يطاردني التمزق
بين الجهر والكتمان
وأحمل مثل سوط مُدمى
نسبي المزدرى العتيد
وأضيق بين أشباح
أبكي لها ومنها

....

قسمة لكلينا
أن يظل هناك
راقداً أبداً تحت نخلة عوجاء
شهيذ قبل الأخير !

المزمور الرابع والعشرون
"مزمور في ذكرى الحريق"

يوم أخبرتكم النبوءة أن راكم ستحترق
كان الطريقُ الخارجُ منها يعجُّ بالعربات
أما أنا فكنت وحدي
أسير في الطريق إليها
لأسقي زيتونتي
آه..

لم يبقَ في راكم من طفلي سواي
أنا العجوز الأعمى !

المزمور الخامس والعشرون
"للقادمين"

سأموت ظمآنًا بالتأكد
وسيهمي بعدي مطرٌ كثيرٌ
فهنيئاً لكم هنيئاً
أيها الراقدون في أرحام الآتيات
أيها الغاذون من مشائم الغد
أيها الراضعون من ثدي الحر (....)
لا أريد أن تذكروني
فما ذلك بنافعي
لكنني أصلي
كي لا تعيدوا التجربة :

كل هذا الدم!

كل هذا الدم!

المزمور السادس والعشرون

"مزمور للخراب"

يا إلهي ..

أهدأ إذن ...

كلُّ ما تبقى؟!!

فهرست

- الى دفترى
- امرؤ القيس
- مَن
- أخبرني العراف
- المحجر الأبدى
- الهاتف
- حكاية
- رؤيا
- الشاعر
- شذوذ
- ليس حزنا
- مدينة الذباب

- سفير الجنون
- نعم
- أوراق من كتاب تدبير المحبين
- من مزامير راکوم الدهماء

تعنون المراسلات الى :

جمهورية العراق / ديالى / المقدادية

الدكتور ماجد الحيدر

e-mail: majidalhydar@yahoo.com

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
(113) لسنة 2002

74 طبع بموجب موافقة وزارة الإعلام
في 27 / 1 / 2002